د.خالدية جاب الله

مقياس : نص أدبي حديث

السنة : الثانية ليسانس

التخصص : دراسات أدبية و دراسات لغوية

النوع : تطبيق

الأفواج :2 – 3- 11

الحداثة الشعرية

محمود درويش[1] -نموذجا- (1941- 2008)

محمود درويش، واحد من أكبر شعراء العصر المعاصر، وحالة شعرية فريدة أثرت المشهد الشعري العربي.

استهلّ بداياته الشعرية الأولى في مطلع ستينيات القرن العشرين بديوانه الأول (عصافير بلا أجنحة) الذي أعقبه بـ (أوراق الزيتون)، ضمن مرحلة سماها الدكتور ميشال خليل جحا "مرحلة الطفولة الفنية"[2].

ثم شرع في تعميق هذه المرحلة عبر دواوينه الثلاثة : (عاشق من فلسطين، آخر الليل، العصافير تموت في الجليل)، حيث انتقل من التعبير المباشر إلى الإيحاء والترميز والأسطرة، وقد بدا تأثره في هذه المرحلة واضحا بكبار شعراء الحداثة كالسياب، والبياتي وعبد الصبور وأدونيس وخليل حاوي[3]،...

---

[1] شاعر فلسطيني ولد في قرية "البروة" بعكا، أكمل دراسته الثانوية في كفر ياسين، اشتغل بالصحافة. حصل على جائزة اللوتس، وابن سينا، ولينين، ودرع الثورة الفلسطينية وجوائز عالمية أخرى...من أعماله الشعرية : عصافير بلا أجنحة (1960)، أوراق الزيتون (1964)، عاشق من فلسطين (1966)، حبيبتي تنهض من نومها (1970)، آخر الليل (1971)، مديح الظل العالي (1982)، ورد أقل (1985)، حصار لمدائح البحر (1986)، أحد عشر كوكبا (1993)، لماذا تركت الحصان وحيدا (1995)،...

ينظر : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة البابطين، ط2، 2002، المجلد الخامس، ص 198.

[2] د. ميشال خليل جحا : شعراء أعلام من المشرق العربي، دار صادر – دار نلسن، بيروت، ط1، 2013، ص 667.

[3] نفسه، ص 668.

لكن محمود درويش في دواوينه الأخيرة (أحد عشر كوكبا، لا تعتذر عما فعلت، حالة حصار، لماذا تركت الحصان وحيدا، سرير الغريبة، كزهر اللوز أو أبعد، في حضرة الغياب، أثر الفراشة،...) تميّز تميزا لافتا بصوته الشعري الكوني وسماته الفنية المتفردة، التي لا يتشبّه فيها بالآخرين.

وقد حاول في هذه المرحلة أن يكتُب حتى تلك النصوص التي يمتزج فيها الشعر بالنثر، كما في كتابه (في حضرة الغياب)، بعدما كان الوزن عنصرا مقدّسا في كتاباته الشعرية السابقة...

من أهمّ خصائص شعره في مراحله المختلفة :

1. محمود درويش شاعر قضية (يمزج بين الحبيبة والوطن ويجعل منهما شيئا واحدا)[1]، يقول في قصيدة (ريتا والبندقية)[2] :

بين ريتا وعيوني ... بندقية

والذي يعرف ريتا، ينحني

ويصلي

لإلهٍ في العيون العسلية

2. انتقل محمود درويش من شعر المقاومة إلى شعرية تقع على "تخوم الفلسفة"[3]؛ حيث "القصيدة الدرويشية ليست نتاج ذاكرة ثقافية وجمعية وحسب، بل هي أيضا نتاج ذاكرة فلسفية تسعى لفلسفة الأشياء لتوسّع من أفق اللغة فكريا وجماليا"[4]. يقول في (قصيدة الأرض)[5] :

---

[1] شعراء أعلام من المشرق العربي، ص 670.

[2] ديوان محمود درويش، المجلد الأول، ط 14، دار العودة، بيروت، 1994، ص 186

[3] بسام قطوس : درويش على تخوم الفلسفة (أسئلة الفلسفة في شعر محمود درويش)، دار فضاءات، عمان، ط1، 2019، ص 36.

[4] نفسه،ص 36.

[5] ديوان محمود درويش، ص 635.

أسمِّي التراب امتدادا لروحي

أسمّي يديّ رصيف الجروحِ

أسمّي الحصى أجنحهْ

أسمّي العصافير لوزا وتين

أسمّي ضلوعي شجرْ

وأستلُّ من تينة الصدر غصنا

و أقذفُه كالحجر

و أنسف دبّابة الفاتحين...

3. استطاع محمود درويش أن "يحقّق أمرين يصعبُ تحقيقهما : جماهيرية الشعر (...) والحفاظ على معنى الشعر وقيمه"[1].
4. يميل محمود درويش إلى كتابة قصيدة التفعيلة ميلا ساحقا، لم يمنعه من كتابة نصوص عمودية في بداياته الأولى. يقول في قصيدة (إلى أمّي)[2] :

أحنُّ إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي

وتكبُر فيَّ الطفولة

يوما على صدر يومِ

[1] حمدي السكوت : قاموس الأدب العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2009، ص 450.

[2] ديوان محمود درويش، ص 93.

وأعشق عمري لأني

إذا متُّ،

أخجل من دمع أمّي

5. يفضّل محمود درويش الكتابة على البحور الصافية التي تسيطر على الفضاء الإيقاعي لنصوصه سيطرة واضحة، خاصة ميله إلى بحريْ المتقارب والكامل.
6. تمتاز قصائد محمود درويش بلغتها الفنية الساحرة التي يمتزج فيها العمق والبساطة. ويظهر هذا جليا في قصيدته الشهيرة (بطاقة هوية) [1]:

سجّل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألفْ

وأطفالي ثمانيةٌ

وتاسعهم ... سيأتي بعد صيفْ

فهل تغضب؟

سجّل

أنا عربي

ولونُ الشّعر فحميٌّ

ولون العين بنّيٌ

[1] ديوان محمود درويش، ص 71.

وميزاتي :

على رأسي عقال فوق كوفية

وكفي صلبة كالصخر

تخمشُ من يلامسها...

7. يسيطر الإحساس المأساوي بالموت على معظم قصائد درويش، وخاصة (الجدارية)[1]، يقول :

... ولم نزل نحيا كأنّ الموت يخطئنا

فنحن القادرين على التذكر قادرون

على التّحرر، سائرون على خطى

جلجامش الخضراء من زمن إلى زمن

هباء كامل التكوين...

[1] تنظر دراسة يوسف وغليسي (رهاب الموت ورغاب الحياة في جدارية محمود درويش) ضمن كتابه :
التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، دار جسور، الجزائر، ط1، 2017، ص 225.